شؤون العباد

خرجتُ مَرةً من الخنادق والمكامن بعد رباطٍ لثلاثين يوماً، خَرجتُ مُرهقاً شَاحِبَ اللونِ، مَليئاً بالغُبار، لا بُدَّ من استراحةٍ وَلو بَسيطة، رَأيتُ دَماراً رَهيباً ومَشاهدَ النَّازحين وجموعَ الناس، ظننتُ أنَّني في حلمٍ وَالله!!.

هُنا تأملتُ في شؤون البلاد، وحَمل الأمانة وثِقَلِها، تَأمَّلتُ فَوجدتُ جِهاداً في سبيل الله من نوعٍ آخر، وجدتُ مُجاهداً مُضَمَّخاً بالدماء، لكنَّها ليست دماؤه، بل هي دُماء الجرحى والمصابين، طَبيبٌ مُجاهد، نَذَرَ نفسه لله، هؤلاء هُم أهل العطاء، لقد حُفرت صورتُهم في ذاكرتي، وكنتُ أغبطُهم كثيراً...

وَفي الجِهة الأُخرى كَان هُناك أطبَّاء أَخذوا أكثرَ مِمَّا قَدَّموا، لا أُحبُّ أن أُفصِّل في أَنانِيَّتِهم، لَكن مَا أردتُ قَوله: إنَّ الجِهادَ هُنا بلونٍ آخر.

إنَّ الهَجمةَ عَلينا كَانتْ شرسةً جداً، فأنا أجزم أنَّ دولاً عُظمى لا تستطيع إدارة الجبهة الداخلية في حَربٍ كَهذه، لَكِنْ هَذا أيضاً لَيسَ مُبرِّراً لأحد، بَل إنَّ المَطلوب مِمَّن كُلف بِشؤون البِلاد أن يَبذُلَ ما يَقدِر عَليه.

إنَّه مِن غَير الجَائز أن تَتَوَقَّف مُستشفى أو خدماتُ البلدية في منطقةٍ مَا مِن أوَّلِ أيَّام الحرب، وإنَّ لهذا أسباباً وعلاجاً.

فَهَذا نتاجُ الدَّولةِ الحديثة، أنْ يَكونَ المُواطن مُوظَّفاً لأجل الدولة، وإذا غابت الدَّولةُ أو انهارت فَلا علاقةَ لَه بِشيءٍ، إنَّ هذا في ميزان الله يُعدُّ تقصيراً.